

حان وقت القصص

«الحقائق لا تبالي بالمشاعر» عبارة شهيرة على وسائل التواصل الاجتماعي، ومن المفارقات أن أكثر من يستخدمها هم ممن لديهم في أحسن الأحوال إلمام محدود بالتاريخ. وتتضمن مهمة روبرت شيلر في هذا الكتاب في إقناعنا بعكس ذلك — وهو أن الحقائق الاقتصادية تحركها بالفعل مشاعرنا. وهذه المشاعر بدورها يحركها ما يصفه بالروايات الاقتصادية — قصصٌ تنتقل آثارها كالعدوى ولها القدرة على تغيير كيفية اتخاذ الناس للقرارات الاقتصادية.

وفي الآونة الأخيرة، بحثت دراسات اقتصادية كثيرة كيف يمكن للتصورات أن تحرك النتائج والعكس بالعكس. غير أن شيلر يزعم أن قوة الروايات أوسع وأعمق مما يمكن أن يكون الاقتصاد المعاصر على استعداد لقبوله. فإننا لا يمكن أن نفهم الآن، أو نتوقع مستقبلاً، حلقات مثل الكساد الكبير— أو التحرك في ثمانينات القرن الماضي نحو خفض الضرائب على الدخل الشخصي — دون فهم الروايات التي تقوم عليها. ويمكن النظر إلى أطروحته، من بعض النواحي، كدفعة إلى الخلف للحاصلين على جائزة نوبل في الفترة الأخيرة. فهؤلاء «العشوائيون» يزعمون (للإفراط في التبسيط، وبما يفتقر للعدل دون شك) أن تخصص العلوم يمكن أن يزيل الحاجة إلى «سرد القصص» ويحدد بوضوح الأثر السببي المختصر لتدخلات سياسات معينة، دون خوف بشأن التوقعات أو المعتقدات.

ولكن القضية الأساسية هي أن منهج شيلر إزاء السببية هو الذي يسقطه. فوصفه للمذهب الاقتصادي خلال الكساد الكبير وكيف أدى إلى الاتجاه الجماعي لارتداء البنطلون

قوة الروايات أوسع وأعمق مما يمكن أن يكون الاقتصاد المعاصر على استعداد لقبوله

الجينز الأزرق واللعب بألعاب الأحجية (puzzles) يعد من الأمور المسلية. ولكن ادعاء أن «الطابع المجنون للظواهر ... يساعد على تفسير طول فترة الكساد وشدته» فيه مبالغة، على أقل تقدير. وهناك أمثلة مشابهة في جميع أقسام الكتاب. ومن بينها أن منديل آرت لافير ونكات رونالد ريغان (ناهيك عن قصة قصيرة لأستريد ليندغرن) «أثارت مطالبة عامة بخفض الضرائب»؛ وأن رواية جورج بوش



روبرت شيلر
الاقتصاد السردى:
كيف تنتشر القصص
وتحرك الأحداث
الاقتصادية الرئيسية

Robert J. Shiller

**Narrative Economics:
How Stories Go Viral
& Drive Major
Economic Events**

Princeton University Press,
Princeton, NJ, 2019, 377 pp., \$27.95

في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر أنهت ركود عام ٢٠٠١.

ولكن لماذا ينبغي أن نصدق أن هذه القصص تسببت فعلاً في الأحداث الاقتصادية المرتبطة بها بدلاً من أن تكون نتاجاً لها، أو ربما تكون موضحة لها بطريقة مفيدة ومثيرة؟ وهناك بالكاد إشارة إلى الأدلة التجريبية، ولا توجد أي إشارة إلى الدراسات الحديثة المتعلقة بعدم اليقين السياسي، على سبيل المثال.

وبدلاً من ذلك، يبدو أن آراء شيلر بشأن أهمية السرد تستند هي نفسها إلى تصديقه لقصة معينة عن الطريقة التي يتخذ بها الناس القرارات الاقتصادية والسبب الذي يدعوهم إلى اتخاذها. و«في نهاية المطاف، فإن مجموعة الأشخاص الذين تتسبب قراراتهم في تقلبات اقتصادية ليسوا على قدر من المعرفة الجيدة ... ومع ذلك، فإن قراراتهم تحرك النشاط الاقتصادي الإجمالي. وبالتالي يجب أن تكون الروايات التي تجذب الانتباه هي التي تحرك تلك القرارات».

وكلمة «يجب» تفيد تأكيد الأمر وليس التحليل. ومن غير المثير للدهشة، أن الكتاب لا يبذل الكثير لوضع خطة مقنعة للبحوث في ضوء هذا النقص في التحليل. أما النداء الموجه إلى الاقتصاديين للاستفادة من تخصصات العلوم الأخرى، ليس علم الأوبئة فحسب ولكن البحوث الاجتماعية النوعية، من بين أمور أخرى، فيحظى بالترحيب. ولكنني أجد صعوبة في معرفة كيف يمكن تحويل أطروحة شيلر إلى فرضيات قابلة للاختبار وخاصة، كما يأمل هو، إلى آليات للتنبؤ بحالات التراجع أو الأزمات الاقتصادية أو تجنبها. ^{FD}

جوناثون بورتييس، هو أستاذ الاقتصاد والسياسات العامة بكلية «كينغز كوليدج» في لندن.